

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[85] الماديّة والمعنويّة الموهوبة على طريق تخريبي إنحرافي وممارسة الظلم والطغيان، فقد وهب القرآن سبحانه وتعالى مواهب كثيرة لبني إسرائيل من قبيل الأنبياء والقادة الشجعان والإمكانات الماديّة الكثيرة، ولكنهم لم ينتفعوا من أنبياءهم الإلهيّين، ولا استفادوا من المواهب الماديّة استفادة صحيحة، وبهذا ارتكبوا معصية تبديل النعمة ممّا سيّب لهم أنواع العذاب الدنيوي، كالتيه في الصحراء وكذلك العذاب الأخرى الأليم. وعبارة (سل بني إسرائيل) في الحقيقة تستهدف كسب الإعتراف منهم بشأن النعم الإلهيّة، ثمّ التفكير بالسبب الذي أدّى بهم إلى الهاوية والتمزّق مع كلّ هذه الإمكانيات ليكونوا عبرة للمسلمين ولكلّ من لا ينتفع بالمواهب الإلهيّة بصورة سليمة. ولاتنحصر مسألة تبديل النعمة والمصير المؤلم لها ببني إسرائيل، بل أنّ جميع الأقوام والشعوب إذا ارتكبت مثل هذه الخطيئة سوف تبلي بالعذاب الإلهي الشديد في الدنيا وفي الآخرة. فالعالم المتطوّر صناعيًّا يعاني اليوم من هذه المأساة الكبرى، فمع وفور النعم والطاقات لدى الإنسان المعاصر وفورًا لم يسبق له مثيل في التاريخ نجد صورًا شتّى من تبديل النعم وتسخيرها بشكل فضيع في طريق الإبادة والفتن بسبب ابتعادهم عن التعاليم الإلهيّة للأنبياء، حيث حوّلوا هذه النعم إلى أسلحة مدمّرة من أجلّ بسط سيطرتهم الظالمة واستعمارهم للبلدان الأخرى، وبذلك جعلوا من الدنيا مكانًا غير آمن، وجعلوا الحياة الدنيا غير آمنة من كلّ ناحية. (نعمة القرآن) في هذه الآية قد تكون إشارة إلى الآيات الإلهيّة وتبديلها يعني تحريفها، أو يكون المعنى أوسع وأشمل من ذلك حيث يستوعب كلّ الإمكانيات والمواهب الإلهيّة، والمعنى الثاني أرجح. * * *